كلية اللغة العربية بأسيوط
المجـــلة العلميـــة

النشاط العلمي للمغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي

د. حمادة مصطفى إسماعيل سيد

إعداد

د. حمادة مصطفى إسماعيل سيد

(العدد التاسع والعشرون – الجزء الثانى أكتوبر ٢٠١٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، وبعد،

للمدينة المنورة فضل عظيم ، ومكانة كبيرة في هذا الدين القويم ، فمنها انبعث نور الهداية إلى شتى أصقاع الأرض ، وإليها هوت الأفئدة فأصبحت محط رحال العلماء من مختلف الأقطار الإسلامية ، على مدى العصور التاريخية المختلفة ، ولقد شهدت المدينة في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي حركة علمية زاهرة في شتى ميادين المعرفة فأصبحت قبلة للعلماء على مختلف تخصصاتهم ، يفدون إليها فيجدون إقبالاً حسنًا من أهلها ، وتشجيعًا وبذلاً من حكامها وأصحاب الشأن فيها ، فقد وفد إليها أعداد كبيرة من طلاب العلم من مختلف الأقطار الإسلامية للأخذ عن علمائها ، وتلقي العلم في معاهدها المختلفة ؛ التي كانت مفتوحة لكل قاصد ، فنبغ فيها كثير من أعلام الفكر الإسلامي في مختلف ميادين العلوم والآداب الإنسانية .

ولقد لاحظت أثناء قراءتي عن تاريخ المدينة المنورة ظهور نشاط علمي واضح للمغاربة ، ومشاركة بارزة في بناء تلك النهضة العلمية للمدينة المنورة في شتى مجالاتها الدينية والشرعية والطبيعية والتجريبية والاجتماعية ، في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، ونظراً لعدم وجود كتابات أو أبحاث حول نشاط المغاربة العلمي في المدينة المنورة إبان هذا القرن، ولتوفر المصادر التاريخية حول هذا الموضوع ؛ فقد اتجهت إلى الكتابة عنه تحت عنوان " النشاط العلمي للمغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي".

وسرت في خطتي لدراسة هذا الموضوع على النحو التالي:

فقد استهللت البحث بدراسة تمهيدية عن ملامح الحياة السياسية في المدينة المنورة في القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي، ثم تناولت دوافع هجرة المغاربة إلى المدينة المنورة ، ثم تناولت النشاط العلمي للمغاربة في المدينة المنورة ،فأوضحت نشاطهم في العلوم الدينية والعربية مثل القراءات القرآنية والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه وأصول الدين والتصوف ، وفي العلوم الاجتماعية ، مثل التاريخ ، وفي العلوم الطبيعية والتجريبية ، مثل الطب والكيمياء والفلك والرياضيات وغيرها ، وذكرت خلال ذلك أشهر علمائهم ، ونشاطهم العلمي في التأليف أو التدريس أو الدراسة، مع ملاحظة أن بعض العلماء قد تكرر ذكرهم في أكثر من علم ؛ وذلك لأنهم برعوا في عدة علوم ، بل يمكن القول أنهم كانوا علماء موسوعيين ، ثم ذكرت الإجازات العلمية

التي حصلوا عليها أو منحوها لطلاب العلم ، وذكرت في نهاية البحث الوظائف التي تولوها في المدينة في ذلك القرن، وقد اعتمدت في معالجة ذلك الموضوع على العديد من المصادر الأصيلة وفي مقدمتها : نصيحة المشاور وتعزية المجاور لابن فرحون ، والديباج المذهب في معرفة علماء المذهب لابن فرحون ، والمغانم المطابة في معالم طابة للفيروزابادي ، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي ، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ، ، وغيرها من المصادر والمراجع المتنوعة .

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

ملامح الحياة السياسية في المدينة المنورة إبان القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي

كانت المدينة المنورة في القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي تحت حكم الجمامزة [١] من أسرة بني مهنا الحسينية[٢] ، تلك الأسرة التي حكمت المدينة ابتداء من القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي، واستمرت في السلطة حتى العصر المملوكي[٣].

وعلى الرغم من حكم تلك الأسرة للمدينة ، إلا أنها كانت تخضع لنفوذ السلطنة المملوكية بالقاهرة ، فقد كان الأمراء يتولون المدينة بمرسوم من السلطان المملوكي ،وكان سلاطين المماليك يراقبون أعمال الأمراء مراقبة شديدة ، ويتدخلون في شئونهم الداخلية ،فيعزلون الأمير إذا كثر التظلم منه ،وفي بعض الحالات كانوا يرسلون قوة مسلحة إلى المدينة لتعزيز سلطة أحد الأمراء ، وقد ساعد ذلك على حسم الكثير من الحروب بين أبناء أسرة جماز [٤] .

ومع بداية القرن الثامن الهجري تنازل الأمير جماز عن الولاية لولده الأمير منصور [٥]، وأمر أن يخطب له على المنبر وحالف الناس على طاعته ونصرته ؛ الأمر الذي أدى إلى وقوع الحسد

---

(١) نسبة إلى جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا ، عز الدين ، أبو سند الحسيني، ولي المدينة سنة (٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م) ، ثم انتزعت منه في سنة (٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م)، ثم وليها مرة أخرى حتى سنة (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م) ، ومات سنة (٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م). ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي تحقيق /نبيل محمد عبد العزيز القاهرة ١٩٨٨م جـ٥ ص١٨ ، ١٩.

(٢)تنسب أسرة آل المهنا إلى الحسن بن طاهر بن مسلم ، ويتصل نسبها بالحسين بن علي ، وكان أول الأمراء من أشراف المدينة حسين بن مهنا الأكبر بن داود بن أحمد بن القاسم بن أبي عيد الله عبيد الله ، نقيب المدينة . السخاوي : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، عني بطبعه ونشره : أسعد طرابزوني الحسيني ،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م جـ١ ص ٩٣ _ ٩٧ .

(٣) عبد الرحمن المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي الرياض ط١ ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ص٢١

(٤) عبد الرحمن المديرس: المرجع نفسه ص ٤٧-٥٤

(٥). منصوربن جماز بن شيحة ، ولي إمرة المدينة سنة (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م)، حتى سنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦م) ، ثم عاد اليها فسنة (٧١٩هـ/ ١٣١٩م)حتى سنة.(٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) حيث قتله ابن =

= أخيه في تلك السنة.ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تقديم وتعليق/ محمد حسين شمس الدين ، بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٢م جـ١٠ ص ١٩٠،

والبغضاء بين أبناء جماز ،وترتب على ذلك وقوع الصراع وقيام الكثير من المناورات التي كانت تهدف إلى نزع الحكم من المنصور[٦] .

وعلى الرغم من اشتراك أخيه مقبل[٧] في الإمارة بأمر من السلطنة المملوكية إلا أن أحداث الصراع والمناورات لم تهدأ حتى تم قتل مقبل على يد ابن أخيه كبيش بن منصور[٨]، وكان مقتله بداية لحلقة جديدة من حلقات الصراع الدامي بين أبناء الأسرة الواحدة ، ففي سنة(٧١٦هـ/ ١٣١٦م) أغار الأمير ودي[٩] وأولاد مقبل على المدينة ، فخرج عليهم جماز بن منصور[١٠] ؛ وأدى ذلك إلى مقتل سبعة أنفس من أهل المدينة ، ثم بعد أيام أعادوا الكرة فملكوها ، وخرج منها جماز بن منصور ، وقام السلطان المملوكي بإرسال قوة عسكرية لإجلائهم عنها [١١].

(٦) ابن فرحون:نصيحة المشاور وتعزية المجاور، دار المدينة المنورة ط١-١٤١٧هـ ص٢٤٩،٢٨٤، الفيروز آبادي: المغانم المطابة في معالم طابة ، تحقيق: مجموعة من المحققين ، المدينة المنورة ط١-١٤١٧هـ جـ٣ ص١١٨٣

(٧) مقبل بن جماز بن شيحة ،ولي امرة المدينة مشاركة مع أخيه منصور في سنة(٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) ،حتى سنة(٧١٠هـ/ ١٣١٠م) ، وهي السنة التي قتل فيها . عارف احمد عبد الغني : تاريخ امراء المدينة ، دمشق ١٩٩٦م ص ٢٧٢.

(٨) كبيش بن منصور بن جماز ، ولي امرة المدينة بعد مقتل ابيه سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) ،وقتل على يد أولاد عمه مقبل سنة(٧٢٨هـ / ١٣٢٨م). السخاوي : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ،جـ ٣ ، ص٤٢٦، ٤٢٧

(٩) ودي بن جماز بن شيحة ، ولي امرة المدينة من سنة (٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م) ، حتى سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٦م) ، وتوفي سنة(٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م) ، ، ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق : محمد عبد المعيد ،حيدر أباد ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م جـ٦ص١٧٤، عارف أحمد عبد الغني :المرجع السابق ، ص٢٧٥ ،٢٧٦.

(١٠) جماز بن منصور بن جماز بن شيحة ، ولي امرة المدينة من سنة (٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م) ، لمدة ثمانية أشهر وعشرة أيام، وقتل في ذي القعدة سنة(٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م). السخاوي: المصدر السابق جـ١ ص ٤٢٦ ، ٤٢٧.

(١١) ابن فرحون: نصيحة المشاور ،ص ٢٥٠، ٢٥١ ،

وفي سنة (٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م) هجم الأمير ودي على المدينة ودخلها ، وكان بالمدينة الأمير طفيل[١٢] نائبا عن كبيش ، مما اضطر طفيل إلى الخروج من المدينة ، وأراد ودي بن جماز ان يحصل على تقليد رسمي من السلطان فذهب الى مصر ، إلا أنه تم القبض عليه بأمر من السلطان ، وتولى إمرة المدينة بعد ذلك الأمير طفيل بعد مقتل كبيش على يد أولاد مقبل بن جماز في نفس السنة[١٣]،ودامت مدة ولايته حتى سنة (٧٦١هـ/١٣٦٠م) ، وقد استمر عسكر ابن ودي وأولاد مقبل يشنون الغارات على المدينة ، ويرعون زروعها ويحرقون نخيلها في أثناء ولاية طفيل بن منصور[١٤].

وعلى الرغم من الحياة الملبئة بالفتن والاضطرابات والصراع الدامي بين أبناء أسرة جماز خلال تلك الفترة ، إلا إن المدينة المنورة نعمت ببعض الهدوء والسكينة في ظل إمارة سعد بن ثابت بن جماز(١٥) ، والفضل بن قاسم(١٦) ،

(١٢) طفيل بن منصور بن جماز بن شيحة ، ولي المدينة بعد قتل أخيه كبيش سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م) ، وعزل سنة (٧٥٠هـ/١٣٤٩م) ، ومات في شوال سنة (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م) . السخاوي: التحفة اللطيفة جـ٢ ص ٢٥٨، ٢٥٩.

(١٣) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، بيروت ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م جـ ٣ ، ص ١١٣.

(١٤) ابن فرحون: المصدر السابق ، ص٢٥١ ، المقريزي : المصدر السابق جـ ٣ ، ص ٩٦.

(١٥) سعد بن ثابت بن جماز ، ولي المدينة سنة(٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) ، ومات سنة(٧٥٢هـ/ ١٣٥١م) .السخاوي: المصدر السابق جـ٢ ص ١٢٥، ١٢٦

(١٦) الفضل بن قاسم بن جماز بن شيحة ، ولي أمر المدينة بعد اجتماع آل جماز عليه بعد موت سعد بن ثابت سنة(٧٥٢هـ/ ١٣٥١م) ومات سنة (٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م). السخاوي: التحفة اللطيفة جـ٣ ص ٣٩٥، ٣٩٦

ومانـــع بن علي [١٧]،وعطية بن منصور[١٨] ، ولكن أحداث الصراع الدامي بين أبناء هذه الأسرة لم تلبث أن عادت مرة أخرى بعد وفاة عطية بن منصور في سنة (٧٨٣هـ/١٣٨١م) ، فقـد تـولى الإمارة بعده حماز بن هبة الله بن حمازين منصور بمرسوم من السلطان المملوكي في ذي القعدة مـن نفس العام ، غير أن نعير بن منصور امتنع عن تسليم المدينة له مما أدى إلى وقوع قتال بين الطرفين ، انتهى بهزيمة نعير وطعنه طعنة تسببت في وفاته بعد يومين[١٩] .

وتعتبر هذه الواقعة بداية جديدة لحلقة من حلقات الصراع على السلطة بين أبناء أسرة حماز بن شيحة ، والذي استمر لنهاية القرن الثامن وطيلة القرن التاسع الهجريين ، ولا شـك أن هـذا الصراع أدى إلى إضعاف مركز المدينة السياسي والعسكري في مواجهة القوى المحلية خاصة القبائل ، وفي مواجهة أشراف مكة ، وأدى أيضا إلى تقوية نفوذ السلاطين المماليك الذين تدخلوا بدورهم في شئون أشراف المدينة بالتولية والعزل[٢٠] ، كما كان لهذه الأحداث المتوالية أثر سيء على الأمن والاستقرار بالمدينة المنورة ، وكان من الطبيعي أن تؤثر على مسيرة الحركة العلمية بها وتـؤدي إلى إعاقة تقدمها ، ولكن بفضل المركز الديني والعلمي الذي تمتعت به المدينة ، فقد استمرت تـؤدي رسالتها الدينية والعلمية ، ولم تتوقف فيها عوامل الجذب الديني والثقافي ، فظلت تستقبل الوافدين إليها من كافة أرجاء العالم الإسلامي ، كما ظلت مركزاً حضارياً مهمـاً مـن مراكـز الحضـارة الإسلامية.

(١٧) مانع بن علي بن مسعود بن حماز ، ولي أمر الدينة بعد وفاة الفضل بن قاسم سنة (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م)، وقتل في سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م) . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص٢٥٨

(١٨) عطية بن منصور بن حماز بن شيحة ، ولي أمر المدينة سنة (٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م) ، وعزل سنة (٧٧٣هـ/ ١٣٧١م) بابن أخيه هبة بن حماز بن منصور ، ثم أعيد في سنة (٧٨٢هـ / ١٣٨٠م)، ودام بها حتى مات سنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م). السخاوي: التحفة اللطيفة جـ٣ ص ١٩٧، ١٩٨

(١٩) عبد الرحمن المديرس : المدينة المنورة في العصر المملوكي ص٤٠

(٢٠) عبد الرحمن المديرس : المرجع نفسه ص٤٤

دوافع هجرة علماء المغرب إلى المدينة المنورة

المدينة المنورة مدرسة الإيمان ومصدر الدعوة الإسلامية ، ودار الهجرة النبوية ، فخرت بسكنى صفوة الخلق – صلى الله عليه وسلم – وبها قبره الشريف ،فحق لها الأفضلية على سائر البلدان ، لذلك فإن قلوب المؤمنين في شتى البقاع كانت تهفو لشد الرحال إليها ، فقصدها المسلمون من كل صوب وحدب ، ومن شتى الأجناس والأعراق ، وأقاموا مجاورين مسجدها النبوي الشريف ، يطلبون الثواب العظيم والأجر المضاعف والعلم النافع .

وكان من بين هؤلاء الوافدين على المدينة المنورة ، العديد من أهل بلاد المغرب، الذين شكلوا فئة مهمة في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وكان لهم أثر بارز على الحياة العلمية بالمدينة المنورة في تلك الفترة، وقد كانت هناك دوافع لهجرة المغاربة إلى المدينة ، بعضها ديني وبعضها علمي ، وبعضها سياسي.

١– الدوافع الدينية والعلمية:

حرص المسلمون في مختلف العصور على الارتحال في طلب العلم ، غير أن الحجاز تمتع بميزة أخرى جعلته أكثر جذباً للعلماء وطلاب العلم ، بحكم مكانته الدينية ، فأكثر من رحل إلى مكة والمدينة للحج والعمرة و الزيارة ، كان يقيم فترة للمجاورة فيهما ، وللتزود ببعض العلوم الشرعية ، ولقاء علماء البلدان الذين لا يتيسر لقاؤهم في غير الحجاز ، وكان بعضهم يستقر فترة من الزمن قد تطول أو تقصر ، وفي تلك الحالة يعد مجاوراً [٢١].

وقد عاش المغرب الأقصى في ظل نهضة فكرية أظلته منذ قيام دولة المرابطين ، ويرجع ذلك إلى ازدهار الحياة الدينية بما تضمنته دعوتي المرابطين والموحدين ، وما دار حولهما من صراع فكري أدي إلى ازدهار العلوم الدينية ، بالإضافة إلى ازدهار العلوم العربية والتطبيقية والتجريبية، وصارت

(٢١) عبد الرحمن المديرس : المدينة المنورة في العصر المملوكي ص٢٩٣

المدن المغربية تزخر بطلاب العلم في العلوم المختلفة ، ونشطت حركة التأليف ، وصار للمغرب الأقصى دوره في تغذية شريان الثقافة الإسلامية[٢٢].

وشهد المغرب الأقصى أيضاً في عهد المرينيين (٦١٠- ٨٦٩هـ/ ١٢١٣- ١٤٦٥م) حصاد قرنين من الجهود العلمية بفضل جهود المرابطين والموحدين في مجالات العلوم المختلفة، وانطلقت الحياة العلمية في عهد المرينيين إلى آفاق أرحب وأوسع ، واستطاعوا أن ينموا الحركة الفكرية ، وأن يعمقوا جذورها في المغرب الأقصى ، حتى أصبحت مدينة فاس عاصمة للفكر في بلاد المغرب[٢٣].

كما حرص أمراء الدولة الحفصية (٦٢١-٨٩٣هـ/١٢٢٤- ١٤٨٨م) على نشر العلم وتشجيع العلماء ومجالستهم لهم ،وإكرامهم وحسن وفادتهم ، وإنزالهم منزلة عالية ، مما جعل تونس في عهدهم محط أنظار العلماء والأدباء في كل مكان[٢٤]،كما وصلت تونس بفضل ذلك الى درجة عالية من حيث النهضة العلمية والعمرانية بكثرة علمائها وأدبائها وشعرائها وزهادها ، وبروعة مبانيها وتعدد جوامعها ومدارسها[٢٥] ، وكان لهؤلاء العلماء والأدباء المغاربة في مختلف العصور التي مرت بهم رحلات إلى المراكز العلمية المختلفة في بلاد العالم الإسلامي ؛ للتزود من علمائها أو للتدريس في رحاب مؤسساتها التعليمية المتعددة .

---

(٢٢) حسن علي حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ، عصر المرابطين والموحدين ، القاهرة ١٩٨٠م ص٤٤٣.

(٢٣) عيسى الحريري : تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني ، الكويت١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ص ٣٣٦ ، ٣٣٧.

(٢٤) جميلة مبطي السعودي : المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص ، رسالة ماجستير من كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة أم القرى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، ص١٧٩

(٢٥)أحمد الطويلي : في الحضارة العربية التونسية ، تونس (د.ت) ص٧

ولقد جذبت المدينة المنورة بحكم مركزها الديني والعلمي عدداً كبيراً من العلماء وطلاب العلم المغاربة ، الذين شدوا الرحال إليها للزيارة ، أو لتلقي العلوم ، خاصةً وأنها شهدت في تلك الفترة حركة علمية واسعة نتيجةً لهجرة تلك الجموع الوفيرة من العلماء وطلبة العلم من شتى البقاع ، كما مر بها عدد من الرحالة الذين رحلوا إلى الحجاز للحج والعمرة أو الزيارة ، يضاف إلى ذلك أن بعض العلماء رحل إلى المدينة لتولي وظائف دينية وإدارية ، وقد أسهم كل هؤلاء العلماء في إثراء الحركة العلمية في المدينة(٢٦).

٢- الدوافع السياسية:

على الرغم من الحياة العلمية الزاهرة التي شهدتها بلاد المغرب في فترات الاستقرار السياسي ، إلا أن تلك الحياة كانت تتخللها فترات مليئة بالفتن والقلاقل السياسية ، مما أثر بدوره على مسيرة الحياة العلمية ، وأدى إلى إعاقة تقدمها،و هجرة العلماء إلى مناطق أخرى أكثر أمناً واستقرارا.

فمن العلماء من عصفت بهم الفتن والاضطرابات التي كانت تقع في بلاد المغرب في بعض الأحيان ، مما اضطرهم إلى الهجرة بعيداً عن هذه القلاقل ، فهاجر بعضهم إلى مصر وبلاد الشام ، وبعضهم هاجر إلى بلاد الحجاز يبتغون من وراء ذلك الأمن والاطمئنان ، ففي أواخر عصر الموحدين اضطرب حبل الأمن وسادت الفوضى وتقلصت الأراضي ، مما أدى إلى حدوث انهيار اقتصادي مريع رافق فترة الاضطراب السياسي ، وقد رافق هذا الانهيار انحطاط في الحياة الفكرية ، فالضعف السياسي والفتن والثورات جعلت مقام العلماء بالمغرب أمراً شاقاً ومطلباً صعباً ،فهاجر بعضهم إلى تونس وبعضهم إلى مصر والشام والحجاز(٢٧).

ولا شك أن اتجاه يعقوب الموحدي لاضطهاد فقهاء المذهب المالكي وأمره بإحراق كتب المذهب المالكي ، بعد أن يُجرد ما فيها من القرآن والحديث أثر كبير في هجرة الفقهاء المالكية من

(٢٦) عبد الرحمن المديرس : المدينة المنورة في العصر المملوكي ص٢٦٣ ، ناجي محمد حسن عبد القادر الأنصاري : التعليم في المدينة من العام الهجري الأول إلى سنة ١٤١٢هـ ، القاهرة ١٤١٤هـ /١٩٩٣م ، ص ٢٤١

(٢٧) عز الدين عمر أحمد موسى : دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٧٣م ص ١١٤

بلاد المغرب ، كما أنه أمر الناس بترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه ، وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة ، وكان يقصد من ذلك القضاء على مذهب الإمام مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة ، وحَمْلَ الناس على الظاهر من القرآن والحديث ، كما قام بتقريب وتقديم طلبة علم الحديث(٢٨).

وقد حدثت اضطرابات في ظل الدولة الحفصية بعد وفاة أميرها المستنصر ، وتولي يحيى الواثق الذي كان يمثل فترة التحول والنزول من القمة(٢٩)، واستمرت هذه الاضطرابات في فترة حكم أبي إسحاق إبراهيم الذي كان منصرفاً إلى لذاته أكثر من انشغاله بتصريف شئون الدولة ، حتى استولت الأعراب في أيامه بتونس على القرى والمنازل ، ونهبوا الأموال والحريم ، كما أنه زاد في العوائد ليجد الراحة في لذاته ، وقلت موارد الدولة في أيامه ، وكثر الإنفاق ، هذا بالإضافة إلى سفك دماء الكثيرين من المسئولين والعلماء مما جعل الناس يشعرون بالضيق (٣٠).

ونتيجة لهذه الحالة السيئة التي آلت إليها البلاد ، فقد خرج الكثير من العلماء هرباً من تلك الأوضاع المتردية إلى الأماكن المقدسة ، وذلك في سنة(٦٨٠هـ/ ١٢٨١م) عندما توجه الركب المعروف بركب المشايخ لغرض الحج من تونس ، وسمي هذا الركب بهذا الاسم لما جمع من فضلاء الصلحاء وأعلام العلماء ، ولم يذكر أنه خرج ركب من تونس فيه من أهل الخير والعلم والصلاح ما كان في الركب المذكور ، وكان فيه عدد كبير من رؤساء العلماء وأكابر الصوفية ، هذا بالإضافة إلى كثير ممن يعتمد عليه في التدريس والفتوى والتحقيق(٣١).

(٢٨) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م ص ٣٥٤ ، ٣٥٥.

(٢٩)محمد العروسي المطوي: السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي ، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ص٢٢٧.

(٣٠)محمد العروسي المطوي: المرجع نفسه ص٢٤٤.

(٣١)ابن القنفد القسنطيني : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تحقيق/ محمد الشاذلي النيفر ، وآخر ، تونس ١٩٦٨م ص ١٤٠

وهذه الظاهرة كان لها صلة بشعور الناس بالضيق من الأوضاع السيئة ، وكانت الهجرة والارتحال إلى الأماكن المقدسة تهدف إلى التنفيس عن النفس والتفريج من الكرب ، أملا في البقاء والاستقرار هناك أو طمعا في تبديل الأوضاع وتحسين الأحوال[٣٢].

٣- كثرة الأوقاف والصدقات بالمدينة المنورة :

من الدوافع التي ساعدت العلماء وطلاب العلم المغاربة على الهجرة والارتحال إلى المدينة المنورة كثرة الأوقاف و الصدقات التي كان ترسل من السلاطين والملوك والموسرين ، ومن ذلك الأوقاف والنفقات التي قررها السلاطين المماليك وكانت تصرف في المدينة المنورة [٣٣]، هذا بالإضافة إلى الأعيان الموقوفة على الحرمين الشريفين[٣٤] ،كذلك أوقف السلطان جلال الدين شاه شجاع ، سلطان بلاد فارس الكثير من الكتب على الحرم النبوي ، وله صدقات كثيرة على الحرمين الشريفين ، كما رتب للمنقطعين بالمدينة المنورة رزقادارا عليهم[٣٥].

ولما حج الأمير سلار نائب السلطنة المملوكية سنة(٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م)أعطى غالب أهل مكة وأهل المدينة كل منهم قوت سنة ، وفعل مثله الأمير بيبرس الجاشنكير عندما حج في السنة التي تليها[٣٦] ، ولم يقتصر الأمر على السلاطين والأمراء ، بل كان هناك العديد من أهل الخير والصلاح ومنهم رشيد بن عبد الله السعيدي (ت٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م) أحد الخدام بالمسجد النبوي ، وكان فقيها متعبداً متديناً يصحب العلماء ويأخذ منهم ويشتري كتب العلم ويوقفها عليهم ، وله رباط ودور وقفها بعد أن تعب في عمارتها وإنشائها[٣٧]

(٣٢)محمد العروسي المطوي: السلطنة الحفصية ، ص ٢٤٤.

(٣٣)راشد سعد القحطاني : أوقاف الأشراف شعبان على الحرمين ، الرياض ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ص٣١- ٤٧

(٣٤)راشد سعد القحطاني : المرجع نفسه ص ٥٦ وما بعدها

(٣٥)السخاوي : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، جـ ٢ ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠

(٣٦)السخاوي : التحفة اللطيفة جـ ٢ ، ص ١٦٧

(٣٧)السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٦٤

وكان العلماء والطلاب يجدون في الأموال والمؤن وصدقات أهل الخير الأوقاف الدائمة والمرصودة التي كانت محبوسة عليهم ،مما يلبي مطالب حياتهم ويساعدهم على التفرغ لمهمتهم ،وقد حققت هذه الأموال الموقوفة المنتظمة سنوياً أو شهرياً وكذلك صدقات أهل الخير أمل الكثيرين في مجاورة الحرمين الشريفين ، وشملت الأوقاف – أيضاً- إنشاء المبرات الخيرية التعليمية كالأربطة والمدارس ورصد الأموال والكتب للمجاورين(٣٨).

ومما لا شك فيه أن هذه الأوقاف أثرت تأثيرا ايجابياً ومباشراً على سكان هذه الأربطة والمتعبدين فيها والدارسين في حلقاتها العلمية، الذين كفل لهم ريع الوقف الاستمرار في طلب العلم ، ووجدوا في هذه المؤسسات ما يكفيهم في شتى أمور معايشهم (٣٩)

فبدون هذه الأوقاف الوفيرة ما توافد المغاربة وغيرهم من البلدان الإسلامية الأخرى بهذه الكثرة ، ولا كانت الحياة العلمية على الصورة التي ارتقت إليها بالمدينة المنورة في تلك الحقبة من التاريخ .

النشاط العلمي للمغاربة بالمدينة المنورة

أسهم علماء بلاد المغرب الذين رحلوا إلى المدينة المنورة بنصيب وافر في إثراء النشاط الثقافي في تلك الفترة موضوع الدراسة ، يتجلى لنا ذلك من خلال دراسة تراجم هؤلاء العلماء ، والتي يتضح منها حجم مشاركاتهم الفعالة والمتميزة في التدريس والتأليف في العديد من العلوم والمعارف المختلفة ، والتي سيرد ذكرها في الصفحات التالية بتفصيل واف.

أثر علماء بلاد المغرب في العلوم الدينية والشرعية(٤٠):

(٣٨) أحمد هاشم بدرشيني :أثر الأوقاف على الحياة الثقافية والاقتصادية في مكة والمدينة في العصر المملوكي بحث منشور بمجلة مركز بحوث المدينة المنورة ، عدد ١٤ ،لسنة ١٤٢٧هـ ص٤٥

(٣٩)أحمد هاشم بدرشيني : المرجع نفسه ص٦٠

(٤٠)وسماها ابن خلدون بالعلوم النقلية وعرفها بأنها:"علوم مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع في مسائلها بالأصول". انظر : المقدمة ، القاهرة ، (د.ت) ص٤٠١

وكانت العلوم الدينية هي العلوم الأكثر انتشاراً في المدينة المنورة في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، وتشمل علوم القرآن الكريم (القراءات والتفسير)، والحديث ، والفقه وأصوله ، وعلم أصول الدين ، وغيرها .

القراءات والتفسير:

نشطت القراءات القرآنية في المدينة المنورة ، وظهر فيها عدد كبير من علماء القراءات الذين كانت إليهم رحلة طلاب العلم ، ومن المعروف أن المدينة المنورة إحدى الأمصار الخمسة (الحرمين والعراقين والشام) التي خرج منها علم القراءات ، بل وعلم النبوة بصفة عامة ، من القرآن وتفسيره والحديث والفقه وسائر العلوم الدينية[٤١] ، لذا أولى علماء المدينة المنورة علم القراءات عناية كبيرة وكثر المشتغلون به ، كما كان المسجد النبوي سبباً من أسباب ازدهار هذا العلم ، ودافعاً كبيراً لهم على تعليم أبنائهم القرآن ، وكيفية تلاوته ،و قد استمرت حلقات القرآن الكريم على مدى الأجيال المتتالية،وتحدثنا تراجم القراء المشهورين في المدينة وفي أصقاع إسلامية كثيرة أن عدداً منهم تخرج ــ أو أمضى بعض الوقت على أقل تقدير ــ في المسجد النبوي ، يقرأ على بعض الشيوخ الذين أخذوا القراءة مسندة من شيخ إلى شيخ إلى من تزلت عليه من السماء[٤٢]،ومن بين هؤلاء القراء الذين برزوا في المدينة المنورة برز العديد من المغاربة في علم القراءات ، وقرءوا بالسبع وبالعشر وقاموا بدراسة هذا العلم وتدريسه لأهل المدينة والوافدين عليها ، ومنهم:

محمد بن عبد الله السبتي[٤٣] المغربي المالكي المتوفى سنة(٧٢٠/١٣٢٠م) ، كان من قدماء المجاورين المقدمين في العلم والتعليم ، وكانت له على أولاد المجاورين ، بل وعلى أهل المدينة يد طويلة ، ومنة عظيمة في تعليم القراءات ، وقيل: أنه لم ينجب أحد من أهل زمانه على يد غيره من

(٤١) ابراهيم عطوة عوض : مقدمة تحقيق كتاب " إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للشاطبي" القاهرة ١٩٨٢ ص٢٢

(٤٢)عبد الباسط بدر : الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي ، بحث منشور بمجلة مركز بحوث المدينة المنورة ، عدد ٥ ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م ص٥٦ .

(٤٣)ذكر عنها الحميري : أنها مدينة عظيمة من بلاد المغرب على الخليج الرومي المعروف بالزقاق ، وهو أول البحر الشامي ، والبحر يحيط بها من جميع جهاتها إلا جهة الغرب . الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٨٤م ص ٣٠٣ ، ٣٠٤.

المعلمين ، وقرأ عليه يعقوب بن جمال وأخوه يوسف والبدر بن فرحون واخوته ، وأولاد الشكيلي الكبار[٤٤].

ومنهم أيضاً: محمد بن إبراهيم بن يوسف بن غصن ، أبو عبد الله الأنصاري الشداوي السبتي المالكي ، المتوفى سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) ، ولد سنة (٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م) وقرأ بمضمن الكافي ومفردة يعقوب لابن شريح على أبي القاسم بن الطيب ، وبالسبع على عبيد الله بن أحمد بن الربيع ، وحج وجاور وأقرأ بالمدينة وبمكة ، قرأ عليه الشيخ محمد بن صالح وغيره بالمدينة [٤٥].

ومنهم أيضاً : عبد العزيز بن زكنون ، أبو فارس التونسي المقرئ المتوفى سنة(٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) ، الذي كان من المشايخ الصلحاء القدماء في المجاورة بالحرمين ، وكان فاضلاً في علم القراءات ، ومجتهداً في العبادة ، قرأ عليه من أولاد المجاورين جماعة كالشمسين الحليمي ، والششتري وطبقتهما ،وجاور بالمدينة المنورة سنين عديدة ومات بها[٤٦].

ومنهم – أيضاً- إبراهيم المكناسي [٤٧]المالكي المتوفى سنة(٧٤٧هـ/١٣٤٦م) ، وهو أحد القراء بسبع ابن السلعوس ، ومن أحسنهم مراسلة وموافقة للجماعة ، وكان حافظاً لكتاب الله حسن الصوت والآداء، وقيل عنه : "أنه كان إذا غرد بحسن نغماته أطرب القلوب وأبطر النفوس"[٤٨].

(٤٤)السخاوي : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، جـ ٣ ، ص ٦١٦- ٦١٨.

(٤٥)ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ، نشر ج . برجستراسر بيروت ١٤٢٧ هـ /٢٠٠٦م جـ ٢ ، ص ٤٥.

(٤٦)ابن حجر : الدرر الكامنة جـ ٣ ص ١٦٥ ، السخاوي : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، جـ ٣ ، ص ٢٤،٢٥.

(٤٧) نسبة إلى مكناسة الزيتون ، وهي مدينة في المغرب من نظر فا س إلى جهة المغرب ، وهي أربع مدن وقرى كثيرة متصلة بالمدن والحصون ، وأكثر ثمارها الزيتون ولهذا نسبت إليه .الحميري : الروض المعطار ص ٥٤٤.

(٤٨)السخاوي : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٥٦،١٥٥ .

ومنهم –أيضاً– عبد الله بن عبد الله الدكاري المغربي المالكي المتوفى سنة(٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)، نزيل المدينة ،وكان من علماء القراءات بها ، أقرأ بها ودرس ،وقيل عنه: " أنه كان متجرئاً على العلماء"(٤٩).

أما التفسير: فقد برز فيه من المغاربة :عبد الله بن محمد بن أبي القاسم ، فرحون بن محمد بن فرحون ، البدر أبو محمد بن أبي عبد الله بن أبي الفضل، اليعمري الأيدي ثم الجبائي التونسي الأصل ،المتوفى سنة (٧٦٩هـ/١٣٦٧م) ، نزيل المدينة المنورة ، ولد يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخرة سنة(٦٩٣هـ/١٢٩٤م) ، وكان أول أولاد أبيه وأمه ، قرأ القرآن على الشيخ أبي عبد الله القصري المقرئ وروى عنه ، كان عالماً بالتفسير ، وكان يقول : " لزمت تفسير ابن عطية ، حتى كنت أحفظه" ، وله من المؤلفات في التفسير :" نهاية الغاية في شرح الآية" ، وهو عبارة عن أسئلة وأجوبة على آيات من القرآن (٥٠).

الحديث :

يعد هذا العلم من أقدم العلوم التي نشأت في المدينة المنورة منذ عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – حيث اهتم الصحابة بسماع الحديث ، لذا فإن ازدهار هذا العلم في المدينة المنورة كان أمراً طبيعياً ، وقد شاركت الأسر العلمية والمجاورون في هذا الازدهار(٥١) ، وكان المغاربة من الذين أسهموا بنصيب وافر في إبراز هذا العلم تدريساً وتأليفا، وقد ذكرت المصادر عدداً وافراً من علماء الحديث المغاربة الذين حدثوا بالمدينة المنورة ، واستفاد منهم الكثير من أهل المدينة المنورة والوافدين عليها ،وترك العديد منهم الكثير من المؤلفات.

(٤٩)السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٣٤٢ .

(٥٠) ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق : مأمون الجنان ، بيروت ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ص ٢٣٤ – ٢٣٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ٣ ، ص ٨٤ ، السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ٢ ، ص ٤٠٣ – ٤٠٩ .

(٥١)عبد الرحمن المديرس : المدينة المنورة في العصر المملوكي ص٢٩٦.

ومنهم : عبد الله بن موسى بن عمر بن موسى بن يومن أبو محمد الزواوي المغربي المقرئ المتوفى سنة(٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م) ، سمع بالقاهرة من ابن دقيق العيد ، والتقي عبيد الأسعردي ، ومؤنسة خاتون ، وبمكة من العماد عبد الرحمن بن محمد الطبري ، والأمين محمد بن القطب القسطلاني ، والتوزري وغيرهم ، وكان من المحدثين المعروفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة ، سمع منه الأقشهري ، وتلا بالروايات على العفيف الدلاصي ، وكان صالحا زاهدا عفيفاً يحفظ الموطأ ، وقد أقام بمكة والمدينة ولكن إقامته بمكة كانت أكثر(٥٢).

ومنهم أيضاً:علي بن محمد بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون ، الإمام المحدث النور أبو الحسن التونسي الأصل المتوفى سنة (٧٤٦هـ/١٣٤٥م) ، كانت ولادته سنة(٦٩٧هـ/ ١٢٩٨)، وقرأ القرآن بالمدينة المنورة على أبي عبد الله القصري ، وسمع بها على أبي عبد الله بن حريث خطيب تلمسان ، والعز يوسف بن حسن الزرندي ، والجمال المطري ، وأبي عبد الله بن جابر الوادي آشي ، والزين الطبري ، والشريف الزبير الأسواني ، والسراج الدمنهوري ، وسمع الحديث عن والده ، وسمع -أيضاً- ببيت المقدس على القاضي شرف الدين الحبتي ،والعلائي ، وبدمشق على المزي والذهبي ، وداود بن العطار ، وابن الحبان ، وغيرهم كثير،وأخذ عن جماعة بمصر وتونس ، وأخذ بفاس عن كثير من علمائها، واستفاد منه جماعة من أهل المغرب ، وكان محدثاً متقناً ، ضابطاً عارفاً يضبط الحديث وأسماء رجاله ولغته،قرأ الدلائل للبيهقي على السراج الدمنهوري بالروضة في رمضان سنة (٧٤٥هـ/١٣٤٤م)وقرأ الصحيحين على الجمال المطري وغيره، وقيل : أنه لم يبرع براعته ويسود سيادته أحد بالمدينة المنورة في زمانه ، ووصفه بعض الناس بالمحدث المفيد الزاهد ، حيث أنه كان أحد فضلاء المدينة في الحديث، وكتب الطباق وسمع على الرضي الطبري وحدث ، وروى الكثير من السنن ، وأحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- كما ألف في الحديث ، ومن مؤلفاته كتاب " شرح حديث أم زرع" (٥٣).

---

(٥٢)ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٣ ص ٩١ ، ٩٢ ، السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٢٧ .

(٥٣)ابن فرحون : نصيحة المشاور ص ٢٧١ ،ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ ٤ ص ١٣٧ ، السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٢٥٢ - ٢٥٦ ، اسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، بيروت (د. ت) جـ ١ ص ٧٠٣.

ومنهم أيضاً: عبد الله بن محمد بن أبي القاسم ، فرحون بن محمد بن فرحون ، البدر أبو محمد بن أبي عبد الله بن أبي الفضل، اليعمري الأيدي ثم الجبائي التونسي الأصل ،المتوفى سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) ، نزيل المدينة المنورة [٥٤]، سمع الحديث بالمدينة عن والده ، وأبي عبد الله محمد بن حريث البلنسي ، ثم السبتي ، خطيب سبتة وفقيهها ، وعلى العز يوسف الزرندي ، والجمال محمد بن أحمد المطري ، والشريف الزبير الأسواني ، والسراج الدمنهوري ، وأبي عبد الله بن جابر الوادي آشي ، والقطب بن مكرم المصري ، والزين الطبري ، وسمع بمكة من الرضي الطبري : الصحيح ، والشمائل للترمذي ، والثقفيات ، ومن أبي عبد الله محمد بن علي الغرناطي : الموطأ رواية يحيى بن يحيى ، وحدث بمكة المكرمة والمدينة المنورة ،فحدث بالخلعيات عن أبي عبد الله محمد بن الحسين البغوي ، بقراءة المحدث نور الدين البغوي ، سمعها عليه العديد من الحفاظ ، وممن سمع عليه الزين أبو بكر المراغي ، وأقام بالمدينة المنورة من سنة بضع وعشرين إلى أن مات ، لم يخرج منها إلا للحج ، وحج نيفاً وأربعين حجة ، ومن شيوخه : أبو القمر الطنجي المغربي اختص به ولازمه بالمدينة ثم بمكة حتى مات ، وأبو عبد الله القصري ، وممن روى عنه : الزين عبد الرحمن بن صالح المدني ، والمسند أبو الفرج عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن المقدسي، وقيل : أن الجلال أحمد بن محمد بن الخجندي لقي البدر هذا ، وسمع عليه مسند الطيالسي وبعض الصحيحين ، وكان البدر هذا من الأئمة الأعلام عالماً بفقه الحديث ومعانيه ، حدث ودرس وأفاد وإليه انتهت الرياسة بالمدينة المنورة ، وانفرد في آخر عمره بعلو الإسناد ، فلم يكن بالمدينة أعلى إسناداً منه ، وكان صبوراً على الإسماع والاشتغال ، وله في الحديث الشريف مؤلفات عديدة ، ومنها : " الدر المخلص من النقص والمخلص " ، جمع فيه بين أحاديث الكتابين ، وشرحه في أربع مجلدات ، وسماه " كشف الغطا في شرح مختصر الموطأ" وهو شرح عظيم ، وشرح " مختصر التفريع " لابن الجلاب البيلي ، سماه " كفاية الطلاب في شرح مختصر الجلاب "[٥٥].

(٥٤) سبق ذكره في علم التفسير.

(٥٥) ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، ص ٢٣٤ - ٢٣٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ٣ ، ص ٨٤ ، السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ٢ ، ص ٤٠٣ - ٤٠٩ .

ومنهم أيضاً:عمر بن صالح بن عمر الفقيه السراج الحاجاني المغربي المتوفى سنة(٧٧٣هـ/١٣٧١م) ،اشتغل بالحديث ، وتلى للسبع على محمد بن صالح ، وانتفع به ولزم الخير وأهله ، قرأ بالمدينة على عبد الواحد بن عمر بن عباد مؤلفه " اختصار المغني " في سنة (٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م) ، شريكاً ليحيى بن محمد التلمساني ، وفي البخاري على القاضي تقي الدين أبي الحرم المطري في الستة التي تليها ، وكان محدثاً فاضلاً[٥٦].

ومنهم أيضاً: سليمان بن أحمد بن عبد العزيز ، علم الدين ، أبو الربيع بن الشيخ شهاب الدين ، الهلالي المغربي الأصل المتوفي سنة (٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م) ، ويعرف بابن السقاء ، ولد بعد سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م) بقليل ، وكان من علماء الحديث الفضلاء ، سمع بدمشق من عبد الرحمن بن عبد الهادي صحيح مسلم ، ومن الشهاب أحمد بن علي الجزري جزء آدم بن أبي اياس ، وجزء محمد بن حميد الحوراني ، وجزء ابن فيل وشيخه ابن شاذان الصفري ، ومن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن الخباز جزء أبي قاسم الكوفي ، ومنه ومن داود بن إبراهيم العطار سنن ابن ماجة ، ومن فاطمة ابنة العز إبراهيم بن أبي عمر نسخة أبي مسهر ، ومن التاج أبي اليسر ، وابن نباته السنن الصغرى للنسائي ، ومن أبي الخطاب السبتي ، وإبراهيم بن إسحاق بن الكحال الجامع للترمذي ، ومن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الدايم عوالي الفراوي ، وأقام بالمدينة المنورة وحدث بها ، وسمع منه الفضلاء ، قرأ عليه أبو الفتح المراغي صحيح مسلم والترمذي وابن ماجة والأربعين المختارة لابن سدي ، وجزء ابن فيل ، وسمع عليه نسخة أبي مسهر وما معها ، وكذا سمع عليه المحب المطري ، والفاسي وغيره [٥٧].

الفقه وأصوله:

كان المذهب السائد والمعمول به في الأحكام في المدينة المنورة في العصرين الفاطمي والأيوبي هو المذهب الجعفري أو الإمامي الإثنا عشري وذلك بسبب امتداد النفوذ الفاطمي إلى الحجاز ، وانشغال الأيوبيين من بعدهم بالحروب الصليبية ، ومنذ أواخر القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي بدأت مذاهب أهل السنة تكتسب القوة نتيجة لدعم السلطنة المملوكية في القاهرة، والقضاة ، وبعض الفقهاء من داخل المدينة وخارجها، كما أن تزايد أعداد المجاورين

(٥٦)السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ٣ ، ص ٣٣٦ .

(٥٧)السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

والوافدين إلى المدينة من مختلف بقاع العالم الإسلامي ، كان له أثرة في تقوية مذاهب أهـل السـنة وإضعاف تأثير المذهب الإمامي على الأوضاع الدينية والاجتماعية ، فقد كان معظم المجاورين الذين وفدوا إلى المدينة على مذاهب أهل السنة ، وقد أخذوا في التتلمذ على يد علماء المدينة من أهـل السنة نال الفقه اهتماماً كبيراً من علماء المدينة المنورة والوافدين عليها ، وبرع فيه كثير من أفـراد الأسر العلمية وغيرهم من طلاب العلم (٥٨).

وكان مما ساعد على النشاط الكبير الذي حظي به هذا العلم ، انتشار المذاهب الفقهية في الحجاز إبان تلك الفترة موضوع الدراسة (٥٩)، فقد انتشرت مذاهبه الأربعة (الشافعي والمـالكي والحنفي والحنبلي) في بلاد الحجاز ، وأول هذه المذاهب انتشاراً المذهب الشافعي كما كان كذلك في البلاد الإسلامية ، لاسيما مصر والشام بلاد السلاطين المماليك ، والحجاز بحكم تبعيته آنـذاك لحكمهم ، ويفسر هذا كثرة مصنفات الفقهاء أنصار المذهب الشافعي إذا قورنت بمؤلفات أنصـار المذاهب الأخرى ، وأدى تشجيع السلاطين وغيرهم على تحول بعض العلماء والطلبة من مذاهبهم على هذا المذهب ، وبعد هذا المذهب في الأهمية يأتي أتباع المذهب المالكي ، وأغلب من اعتنق أو انتمى إلى هذا المذهب قدموا من المغرب العربي والأندلس ، أو ترجع أصولهم إلى المـغرب العـربي والأندلس(٦٠) ، لذا نجد أن الفقهاء المغاربة بالمدينة المنورة ينتمون إلى المذهب المالكي ، وتركوا فيه العديد من المؤلفات القيمة ، ومنهم

محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون ، الشمس أبو عبد الله بن ذي الكشين أبي الفضـل وأبي القاسم اليعمري ، التونسي المولد والمنشأ ، المدني المالكي المتوفى سنة (٧٢١هـ/ ١٣٢١م) ، ويعرف بابن فرحون ، اشتغل بالعلم على شيوخ بلده ، وبرع في عدة علوم وفي مقدمتها علم الفقه ، عندما رحل إلى المدينة المنورة سكن بالمدرسة الشهابية ، وكان يحضر الدرس لأجل المسكن ، فاشتهر علمه وفضله وتفننه في علوم ، فعظم أمره وأحبه الناس ولازموه واشتغلوا عليه في الفقه وغيره مـن العلوم ، وصفه بعض الناس بالشيخ الفقيه العالم الصالح الورع المدرس (٦١).

---

(٥٨)عبد الرحمن المديرس : المدينة المنورة في العصر المملوكي ص١٨٨ - ١٩٦.

(٥٩)عبد الرحمن المديرس : المرجع نفسه ص٢٩٨.

(٦٠)خالد محسن حسان الجابري :الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي ، جـ ٢ ص ٤٧٥ ،أحمد هاشم بدرشيني : أثر الأوقاف على الحياة الثقافية والاقتصادية بمكة والمدينة ص ٨٤.

(٦١)السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ٣ ، ص ٧٠٦ - ٧١٠ .

ومنهم أيضاً: أحمد بن عبد الرحمن ، أبو العباس ، الشاذلي الفاسي ، المغربي المالكي ، نزيل المدينة ، المتوفى سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) كان فقيها فاضلاً متفنناً ، مستحضراً للفقه ، له شرح على "الرسالة" لابن أبي زيد ، بيض منه نصفه في ثلاثة أسفار كبار ، وباقيه في سفر واحد في المسودة ، وشرح " عمدة الأحكام "شرحاً حسناً ، ، وتحول إلى المدينة فقطنها ، وكان صدراً في العلماء ، ذا عفة ودين وصيانة [٦٢] .

ومنهم أيضاً: علي بن محمد بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون ، الإمام المحدث النور أبو الحسن التونسي الأصل المدني المالكي المتوفى سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) [٦٣] ،كان فاضلاً في علم الفقه ، ولزم الاشتغال به في المسجد النبوي ، وكان يحضر درسه أكابر الفقهاء المالكية فيثنون على درسه بالثناء الخيار ، ومن ذلك أنه كان يلقي درس الفقه في مختصر ابن الحاجب ، فيحضره الشيخان الحاحائي ، وعبد السلام بن غلاب وهما على درجة عالية في علم الفقه ، فكان يظهر عليهما بذهن ثاقب وحفظ متين وله حواشي على " شرح ابن الحاجب " لابن عبد السلام ، تكلم فيها على ما لم يتكلم عليه الشارح في المتن مع تعقب على الشارح في أماكن كثيرة ، انتهى فيه إلى الحج [٦٤].

ومنهم أيضاً: الحسن بن عيسى أبو علي الحاحائي المغربي المالكي ، المتوفي سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، كان من العلماء الأتقياء ، الأقوياء في دينهم مع البراعة في العديد من العلوم ، وعلى رأسها علم الفقه ، وقد انتفع به الطلبة من جميع المذاهب ، وكان يسكن بالمدينة في رباط دكالة في حجرة الصالحين [٦٥].

ومنهم أيضاً: عبد السلام بن سعيد بن محمد بن عبد الغالب ، القيرواني [٦٦] المغربي المالكي ، المتوفى سنة (٧٦٦هـ/١٣٦٥م) كان من علماء المالكية ، وحفظ في الفقه وغيره كتباً ، وقرأ

(٦٢)ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص ١٣٨ ، السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ١٨٤ -١٨٦ .

(٦٣)سبق ذكره في علم الحديث .

(٦٤)ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة جـ ٤ ص ١٣٧ ،السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٢٥٢ - ٢٥٦

(٦٥)السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ١ ، ص ٤٩٤ .

(٦٦)نسبة إلى القيروان ، قاعدة البلاد الأفريقية وأم مدائنها ، الحميري : الروض المعطار ص ٤٨٦ ، ٤٨٧.

التهذيب ، وابن الحاجب ، وكان من كبار أصحاب الشيخ أبي هادي ،سكن المدينة وأقام بالمدرسة الشهابية عدة سنين ،وانتفع به الطلبة كثيراً ، واشتغل عليه فيها جماعة من الطلبة في فروع المالكية ، وكان قد جمع إلى العلم الغزير ، الدين المتين والعقل الراجح (٦٧).

ومنهم أيضاً: عبد الله ين محمد بن أبي القاسم ، فرحون بن محمد بن فرحون ، البدر أبو محمد بن أبي عبد الله بن أبي الفضل، اليعمري الأيدي ثم الجبائي التونسي الأصل ،المتوفى سنة (٧٦٩هـ/١٣٦٧م) ، نزيل المدينة المنورة(٦٨)، كان من الأئمة الأعلام ، ومصابيح الظلام ، من علماء الفقه المالكي ، وكان قد أخذه عن والده ، أقام مدرساً للمالكية ، ومتصدراً للاشتغال بالحرم النبوي أكثر من خمسين سنة (٦٩).

كما برز عدد من هؤلاء العلماء المغاربة في علم أصول الفقه ، ومنهم :

محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون ، الشمس أبو عبد الله بن ذي الكشين أبي الفضل وأبي القاسم اليعمري ، التونسي المولد والمنشأ ، المدني المالكي المتوفى سنة (٧٢١هـ/ ١٣٢١م) كان مشاركاً في علوم عديدة ، فبالإضافة إلى براعته في الفقه ، فقد برع أيضاً في أصول الفقه(٧٠) .

ومنهم أيضا: أحمد بن عبد الرحمن ، أبو العباس ، الشاذلي الفاسي (٧١)، المغربي المالكي ، نزيل المدينة ، المتوفى سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) كان فقيها فاضلاً متفنناً (كما سبق ذكره) بالإضافة إلى أنه كان إماماً في أصول الفقه ،وألف فيه " تنقيح القرافي " ، وقيل أنه لم يوضع عليه أحسن منه(٧٢) .

ومنهم أيضاً: الحسن بن عيسى أبو علي الحاحائي المغربي المالكي ، المتوفى سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، كان من العلماء المتقين ، وإماماً في مذهب الإمام مالك –كما سبق ذكره – وفي أصول الفقه وغير ذلك من العلوم (٧٣).

---

(٦٧)ابن حجر : الدرر الكامنة جـ ٣، ص ١٦١ ، السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٧، ٨ .

(٦٨)سبق ذكره في علم الحديث.

(٦٩)السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٠٣ – ٤٠٩ .

(٧٠)السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٧٠٦ – ٧١٠ .

(٧١)نسبة إلى مدينة فاس ، وهي مدينة عظيمة ، وهي قاعدة بلاد المغرب، وهما مدينتان مقترنتان ويشق بينهما نهر كبير يسمى وادي فاس ، الحميري : المصدر السابق ص ٤٣٤.

(٧٢)ابن فرحون : الديباج المذهب ص ١٣٨ ، السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ١ ، ص ١٨٤ –١٨٦ .

أصول الدين:

يرمي هذا العلم إلى إثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية ، أى تأسيس العقيدة الإسلامية على أسس عقلية برهانية حتى يمكن فهم العقيدة وعرضها والدفاع عنها ، [٧٤] ولم يكن اهتمام العلماء بعلم أصول في المدينة المنورة يوازي العلوم الأخرى ، لذا قل اشتغال العلماء بهذا العلم ، وعلى الرغم من ذلك فقد وجد بعض العلماء المغاربة الذين اهتموا بهذا العلم وبرعوا فيه ، ومنهم :

الحسن بن عيسى أبو علي الحاحائي المغربي المالكي ، المتوفى سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) ، الذي سبق ذكره في علمي الفقه وأصوله ، فقد برع أيضا في علم أصول الدين . [٧٥]

ومنهم أيضاً: علي بن محمد بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون ، الإمام المحدث النور أبو الحسن التونسي الأصل المدني المالكي المتوفى سنة (٧٤٦هـ/١٣٤٥م) [٧٦] الذي كان فاضلاً في علوم عدة ومنها أصول الدين[٧٧] .

التصوف:

وأصل التصوف : هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة [٧٨].

وقد انتشرت الطرق الصوفية في معظم أرجاء العالم الإسلامي ، وبالأخص في عصر المماليك وتغلغلت في أوساط الشعب والخاصة على السواء ، وتعددت طرقها ، واعترفت الدولة بها [٧٩] ،

---

(٧٣)السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٤٩٤ .

(٧٤) حسن حنفي : علم أصول الدين ـ أصول الفقه ـ العقل والنقل ، بحث ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية ، بيروت ١٩٨٦م جـ٢ ص ٧ .

(٧٥)السخاوي : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٤٩٤ .

(٧٦)سبق ذكره في علم الحديث والفقه .

(٧٧)ابن حجر : الدرر الكامنة ،جـ ٤ ص ١٣٧ ،السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ٣ ، ص ٢٥٢ - ٢٥٦

(٧٨) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٣٩ .

وقد كتب أصحاب هذه الطرق في طرقهم ، فمنهم من كتب في أحكام الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والترك كما فعل المحاسبي في كتاب "الرعاية"، ومنهم من كتب في آداب الطريقة وأذواق أهلها ومواجدهم في الأحوال كما فعل القشيري في كتاب " الرسالة" [٨٠].

وكان من مظاهر التصوف في بلاد الحجاز في القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي انتشار الأربطة والزوايا ، لذا نجد التصوف منتشراً في المدينة المنورة في القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي ،عند كثيرين ممن أرادوا المجاورة بقصد العبادة فقط ، ومعظم هؤلاء كانوا يسكنون الأربطة المعدة للغرباء ، وقليل منهم ألف في هذا العلم[٨١]، وقد أقبل بعض المغاربة الذين وفدو إلى المدينة المنورة على إتباع هذه الطرق ، ومنهم : سعادة المغربي المتوفى سنة (٧٣٠هـ/١٣٣٠م) ، الذي قيل عنه :" أنه كان شيخاً عظيم القدر وكانت إقامته بالحرمين ، يتردد بينهما واشتهر في زمانه بين إخوانه أنه من أرباب الخطوة ، وممن تطوى له الأرض ، وله حكايات غريبة في خروجه من بلده المغرب ، ووصوله إلى الحرمين ، حكاها عنه من له في المجاهدة حال وقدم ، وكانت إقامته في مكة برباط الموفق ، وإذا قدم المدينة احتفل الجماعة به وتبركوا بدعائه وبكلامه " (٨٢) .

ومن المغاربة الذين عرفوا بالتصوف : أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر ، أبو العباس بن مرزوق التلمساني المتوفى سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) ، أقام بمكة قبل أن يذهب إلى المدينة ، كان ذا كرامات وأحوال جليلة ، وكان لا يأكل الرطب ولا الفاكهة ولا اللحم ولا السمن ، كما كان صائم الدهر قائم الليل ، لا يفتر عن ذكر الله ، ويتفقد الفقراء في بيوتهم ، ويعالج الطرحاء في مكانهم ، ويطوف على المرضى في المدينة فيتفقدهم ، وممن لبس منه خرقة التصوف ، القاضي أبو الفضل النويري في سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) ، ولبسها الجمال بن ظهيرة ابن القاضي .

وكان له في هذه الخرقة أسانيد ، منها ما انفرد به في عصره ، وهو صحبته للمجاهد في سبيل الله ، بلال بن عبد الله الحبشي ، بلباسه من الشيخ أبي مدين شعيب بن الحسن ، بلباسه من أبي عبد الله بن حزام ، بلباسه من القاضي أبي بكر بن المغربي ، بلباسه من أبي حامد الغزالي ، بلباسه من

---

[٧٩] محمد زغلول سلام: الأدب في العصر المملوكي القاهرة ١٩٧١م جـ ١ ص ١٩٣

[٨٠] عبد المنعم ماجد:الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى القاهرة ١٩٨٦م ص١٩٥،١٩٤

[٨١] خالد محسن حسان:الحياة العلمية في الحجاز جـ ٢ ص ٤٩٢

(٨٢)الفاسي :العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق:فؤاد سيد ،بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م جـ ٤ ص ٥٣٠ ،السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ٢ ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .

إمام الحرمين أبي المعالي الجويني ، بلباسه من أبي طالب المكي ، بلباسه من أبي القاسم الجنيد بسنده الشهير(٨٣).

كذلك وجد من المغاربة من ألف في التصوف ، ومنهم : علي بن محمد بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون ، الإمام المحدث النوّر أبو الحسن التونسي الأصل المتوفى سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) الذي سبق ذكره في عدة مواضع ، فقد أقبل في آخر عمره على الاشتغال في كتب التصوف ، وألف فيه العديد من الكتب ومنها : " الجواب الهادي عن أسئلة الشيخ أبي هادي " والشيخ أبي هادي هو أحد شيوخ القيروان ، وأيضا :"تحفة الراغبين في اختصار منازل السائرين "(٨٤).

علوم اللسان العربي:

بالإضافة إلى العلوم الدينية التي تشتغل بها حلقات العلم في المسجد النبوي ، كانت العلوم الأخرى تحظى باهتمام علماء تخصصوا فيها ، أو كانوا علماء موسوعيين جمعوا أقداراً كبيرة من علوم شتى ، وأخذوا يدرسونها لمن يقبل عليهم من طلبة العلم ، وفي مقدمة تلك العلوم ، علوم العربية (اللغة والنحو والصرف والأدب)، وقد أضافها ابن خلدون إلى العلوم النقلية حيث قال : " ثم يتبعها علوم اللسان العربي لأنه لسان الملة وبه نزل القرآن "(٨٥) ، وكانت هذه علوماً أساسية لابد لكل طالب علم منها ، ولكن يختلفون في مقدار تحصيلهم ومواصلتهم فيها(٨٦) ، فقد حفلت المدينة المنورة في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي بالعديد من العلماء البارعين في علوم اللسان العربي (النحو والصرف ، علم اللغة ، البلاغة ، الأدب) ، سواء كانوا من أهلها أم من الوافدين عليها ، مما أدى إلى ازدهار تلك العلوم وكثرة المصنفات فيها ، وقد كان للعلماء المغاربة أثر واضح في نشاط حركة العلوم العربية في المدينة آنذاك ، خاصة وأنه برز منهم من برع في هذه العلوم ، وصنفوا فيها العديد من المؤلفات القيمة ،

(٨٣)الفاسي :المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٤٧ - ٢٥٠ .

(٨٤)السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ٣ ، ص ٢٥٢ - ٢٥٦

(٨٥) المقدمة ص ٤٠١

(٨٦)عبد الباسط بدر : الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي ص ٥٧

ففي النحو وعلم اللغة برز: عبد الله بن محمد بن أبي القاسم ، فرحون بن محمد بن فرحون ، البدر أبو محمد بن أبي عبد الله بن أبي الفضل، اليعمري الأيدي ثم الجبائي التونسي الأصل ،المتوفى سنة (٧٦٩هـ/١٣٦٧م) ، نزيل المدينة المنورة ، أخذ العربية عن والده، وقيل أنه اشتغل بالعربية وهو ابن ثمان عشر سنة ، وتخرج عليه فيها جماعة فضلاء ، وله العديد من المؤلفات في النحو وعلم اللغة العربية ومنها :" شرح قواعد الإعراب " لابن هشام ، و "التيسير في محكمي البناء والتغيير " و " وشفاء الفؤاد في إعراب بانت سعاد " وقد ذكر عنه أثير الدين أبو حيان ، وهو شيخ عصره وإمام وقته في العربية ، ووقف على كلامه في إعراب بانت سعاد فقال :" ما ظننت أنه يوجد بالحجاز مثل هذا الرجل ، واستعظم علمه ، وأثنى عليه " [٨٧] ومن مؤلفاته في العربية أيضاً: " المسالك الجلية في الفوائد العربية " و" العدة في إعراب العمدة " يعني عمدة الحديث ، جمع في هذا الكتاب وجوه الإعراب واللغة والاشتقاقات ، وسلك فيه مسلكاً غريبا لم يسبق إلى مثله، وهو آخر ما ألف [٨٨].

كما برز أيضاً: محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون ، الشمس أبو عبد الله بن ذي الكشين أبي الفضل وأبي القاسم اليعمري ، التونسي المولد والمنشأ ، المدني المالكي المتوفى سنة (٧٢١هـ/ ١٣٢١م) كان مشاركاً في علوم عديدة ، فبالإضافة إلى براعته في الفقه وأصوله ، فقد برع أيضاً في علم اللغة العربية وانتفع به الطلبة في العربية كثيراً وكان له حلقة لتدريس النحو، ذكر ذلك بعض المؤرخين ووصفوه بالشيخ الفقيه الصالح [٨٩]

ومنهم أيضاً: علي بن محمد بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون ، الإمام المحدث النور أبو الحسن التونسي الأصل المدني المالكي المتوفى سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) [٩٠] الذي كان فاضلاً في علوم عدة ومنها علم اللغة العربية والمعاني والبيان ، فقد كان مستبحراً في تلك العلوم ، وكان قد أخذ العربية عن والده ، وقام بتدريس العربية في المسجد النبوي، ومن مؤلفاته : " نزهة النظر ونخبة الفكر في شرح لامية العجم " وذيلها له اشتمل على لغة كثيرة وصناعة بديعة ، وله في العربية تفانيد

(٨٧)ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٢٣٥

(٨٨)السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ٢ ، ص ٤٠٣ - ٤٠٩

(٨٩)السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٧٠٦ - ٧١٠ .

(٩٠)سبق ذكره في علم الحديث والفقه وأصول الدين .

مختصرة وقال عن بعض الناس : أنه سبق الأقران في علوم العربية وبذ كل مجتهد في علم المعاني ، وسبقهم في اللغة والنحو والبيان والمعاني[٩١] .

وممن برز في علم اللغة العربية أيضاً: الحسن بن عيسى أبو علي الحاحائي المغربي المالكي ، المتوفى سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) ، الذي سبق ذكره في الفقه وأصول الفقه وأصول الدين ، فقد برع أيضاً في علم اللغة العربية وكان إماما في كل هذه العلوم ،وانتفع به الطلبة كثيراً[٩٢] .

أما الأدب في المدينة المنورة فأول ما نلحظه أنه كان مواكبًا للحركة العلمية غالبًا،حيث يجتمع في شخصية طالب العلم والمثقف والعالم : التحصيل العلمي ، والتحصيل الأدبي ، فتراه عالمًا في الفقه ، والتفسير ، والحديث ... إلى جانب ذلك تجد لديه حافظة كبيرة من نصوص التراث الأدبي ؛ شعرًا ونثرًا ، وهذه خاصية من خصائص الثقافة الإسلامية ، حيث تترابط عناصرها ، ويتأثر بعضها ببعض ، فيكون الشيخ فقيهًا متبحرًا في علمه ، وهو في الوقت نفسه حافظ لقدر كبير من الشعر والخطب والحكم والأمثال ، وقارئ جيد لكتب الأدب .

ولا نكاد نجد ترجمة من تراجم العلماء المتميزين تخلو من هذه الثنائية المتلاحمة ، ذلك أن المنهج الثقافي الذي ترسخ في ظل الحضارة الإسلامية يجعل العلوم اللغوية أصلاً من أصول العلوم الشرعية ، فكتب تفسير القرآن ، وشرح الحديث النبوي مليئة بالنصوص الشعرية والنثرية ، تستشهد بها على الدلالة والمعنى في أقل تقدير ، وهذا يفسر لنا أيضًا كون اللغة والأدب عنصرًا أساسيًا في منهج التربية والتعليم منذ القديم ، يعكف الطالب عليهما – بعد القرآن الكريم والحديث النبوي – منذ نعومة أظفاره ، ويحرص الآباء والمعلمون على أن يحفظ الجيل الناشئ مختارات من عيون الشعر وبدائع النثر ؛ لتعزز سليقتهم ، وتصقل قرائحهم ، وتفتح أذهانهم ، هذا في مجال التحصيل[٩٣] .

وقد برع في المدينة عدد كبير من العلماء المغاربة في الأدب فقط ومنهم أيضاً من اجتمعت في شخصيتهم خاصيتي التحصيل العلمي والتحصيل الأدبي، فقد كان هؤلاء أدباء وفقهاء ومحدثين ، وكتب التراجم مليئة بالأمثلة والشواهد التي توضح لنا ذلك ، فممن برع في الأدب فقط :

أيمن بن محمد بن محمد بن محمد أبو البركات السعدي التونسي المالكي ، نزيل المدينة المتوفى

(٩١)ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة جـ ٤ ص ١٣٧ ،السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٢٥٢ – ٢٥٦

(٩٢)السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ١ ، ص ٤٩٤ .

(٩٣) عبد الباسط بدر : ملامح الأدب في المدينة المنورة في العصر المملوكي ، بحث منشور بمجلة مركز بحوث المدينة المنورة عدد ٩ لسنة ١٤٢٥هـ ص ٣٤ ، ٣٥ .

سنة (٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م) ترك أهله وإخوانه بتونس ، وهاجر إلى الله ورسوله ، وجمع ديواناً كبيراً يشتمل على مدائح نبوية ، وقيل عنه : أنه كان أعجوبة الزمان ، وطرفة الإخوان ، من أدب وشعر وحكايات ، من جلس إليه لا يكاد يحب فراقه ، حسن البديهة سريع الجواب ، وقيل عنه أيضاً: أنه كان من الأدباء البارعين ، والفضلاء الفارعين ، والعلماء العاملين ، والكبراء الكاملين ، وأنه كان أعجوبة وقته في الفطانة والفكاهة ، وسرعة الجواب الحسن ، وإيراد الحكايات المطرفة ، واسناد الروايات الغريبة المتحفة ، يقضي المجلس بلوامع الأدب وبأرقيته العجيبة ، ولا يخطر ببال جليسه مباعدته ومفارقته ، ومن شعره:

بلغت بشعري في الصبا وعقيبه جميع الأماني من جميع المطالب
فلما رأيت عيناي سبعين حجة قريباً هجرت الشعر هجر الأجانب
أيجمل بالشيخ الذي ناهض الفنا بقاء على ذكر الصبا والكواعب
حشت الثرى ليل الشباب فكيف لا أريح لذي صبح المشيب بجانب

وله في معنى قول الحكماء : من طال عمره كانت مصيبته في أحبابه، ومن قصر عمره كانت مصيبته في نفسه.

إذا طال عمر المرء ساءه على أي حال كان فقد الحبائب
وفي نفسه ، إن مات قبل إنتهائه مصيبته ، فالمرء رأس المصائب

وله في الغزل:

وكم رمت كتم الحب عمن أحبه وكيف بكتم الحب عن ساكن القلب
إذا أصلح السر المصون بخاطري تقلب مني القلب جنباً الى جنب

وله في النخل ، وقد رآه مجدوداً:

نظر إلى النخل وأعناقها قد جردت من ثمرها الزاهي
مثل عروس تم أسبوعها فجردت من حليها الباهي

ما زينـــها إلا عـــــــراجينها وكلـــــها من حكـــــــمة الله (٩٤)

أما من اجتمعت فيهم خاصيتي التحصيل العلمي والتحصيل الأدبي فمنهم:

أحمد بن عبد الرحمن ، أبو العباس ، الشاذلي الفاسي ، المغربي المالكي ، نزيل المدينة ، المتوفى سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤١م) فقد كان فقيها فاضلاً – كما سبق ذكره– كما كان مشاركاً في الأدب والعربية والحديث (٩٥).

ومنهم أيضاً: علي بن محمد بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون ، الإمام المحدث النور أبو الحسن التونسي الأصل المدني المالكي المتوفى سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)(٩٦) الذي كان فاضلاً في علوم عدة وكان مستبحراً في الأدب ، حتى قيل عنه : أنه بلغ في العلوم الأدبية النهاية ، وقيـــل عنه أيضاً : أنه سبق الأقران في الفنون الأدبية ، وشرح قصيدة عمرو الجني المشتملة على الحديث النبوي ، وله شعر كثير في غاية الجودة ، ، وله ديوان كبير في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – ، ومدح غيره ، ويذكره في مجلدات مشتملة على فوائد وغرائب ، ومن شعره:

شرف الرسول ومدحه لا ينفـــذ ولو أن كـــل الخلـــق فـــيهم مســـعد

الوهم قصر عن بلوغ صـــفاته وكـــذا اللـــسان وإن عـــلا فمقـــيد

والله لا يحصي فضائله امـــرؤ ولـــو أنه أبداً لا حمـــد يحمـــــــد (٩٧)

(٩٤)ابن حجر : الدرر الكامنة جـــ٥ ، ص ٥١٤ – ٥١٦ ، السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـــ ١ ، ص ٤٩٤

(٩٥)ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٣٨ ، السخاوي : المصدر نفسه ، جـــ ١ ، ص ١٨٤ –١٨٦ .

(٩٦)سبق ذكره في علم الحديث والفقه وأصول الدين .

(٩٧)ابن حجر : المصدر السابق جـــ ٤ ص ١٣٧ ،السخاوي : المصدر السابق ، جـــ ٣ ، ص ٢٥٢ – ٢٥٦

التاريخ :

حظي الحجاز منذ منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بكثير من المؤرخين والعلماء الذين أرخوا للمدينتين المقدستين ، ولعلمائها ومجاوريها [٩٨] ،وخلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي كان للتاريخ نصيب في العلوم التي ازدهرت في المدينة المنورة ،نظراً لوجود المسجد النبوي وما تحويه المدينة من معالم وآثار لها صلة بالسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي بشكل عام ، مما حفز الكثير من المهتمين بالتاريخ على الكتابة فيها، غير أن معظم المؤلفات كان يغلب عليها التطرق للفضائل والمعالم ، وقليل منها يتعرض للحوادث التاريخية ، كما أن بعضها يترجم لرجال ونساء المدينة ، أو لمن حل بها خلال العصور الإسلامية المختلفة [٩٩] .

وقد أسهم العديد من المغاربة في إثراء الحركة التاريخية بالمدينة المنورة ، إبان تلك الفترة ، عبد الله بن محمد بن أبي القاسم ، فرحون بن محمد بن فرحون ، البدر أبو محمد بن أبي عبد الله بن أبي الفضل، اليعمري الأيدي ثم الجبائي التونسي الأصل ،المتوفى سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) ، نزيل المدينة المنورة ومؤرخها ، وهو صاحب تاريخ المدينة المنورة المشهور بـ " نصيحة المشاور ، وتعزية المجاور " [١٠٠].

ومنهم : عبد الله بن عبد الملك ، أبي محمد بن أبي عبد الله بن أبي محمد التونسي الأصل، المرجاني المدني المتوفى سنة (٧٧٠هـ / ١٣٦٨م) ، جمع للمدينة المنورة تاريخاً سماه : " بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة المختار " ، وجمع فيه فوائد كثيرة ، إلا أنه حوي الكثير مما لا صلة له بالتاريخ ، وله غير ذلك من المؤلفات ، قيل أنه دخل المغرب وانقطع خبره [١٠١].

العلوم الطبيعية والتجريبية:

ذكر ابن خلدون عن هذه العلوم بأنها : " العلوم التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وإنحاء براهينها، ووجوه تعليمها ، حتى

---

(٩٨) خالد محسن حسان الجابري :الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي ،جـ٢ ، ص ٥٣٨

(٩٩)عبد الرحمن المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي ، ص ٣٠٠

(١٠٠)السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ٢ ، ص ٤٠٣ - ٤٠٩

(١٠١) الفاسي : العقد الثمين جـ ٧ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٣٥٤

يقف نظره وبحثه على الصواب والخطأ فيها " [١٠٢]، وتشمل هذه العلوم الطب والصيدلة والكيمياء والفلك والرياضيات وغيرها، ويطلق عليها العلوم العقلية ، وكان لهذه العلوم نشاط بالمدينة المنورة ، وهذا يعني أن الحركة العلمية بالمدينة لم تكن مقتصرة على العلوم الدينية والشرعية والعربية ، يتجلى ذلك من خلال دراسة تراجم علماء المدينة والمجاورين بها، التي كشفت لنا عن وجود عدد من علماء المدينة ومجاوريها ممن كان لهم اهتمام بالعلوم الطبيعية والتجريبية .

والحقيقة أننا لا ننكر وجود هذه العلوم بالمدينة المنورة إبان فترة البحث ، ولكن يمكن القول أن نشاط هذه العلوم كان ضئيلاً، ولا يمكن مقارنته بنشاط العلوم الدينية والشرعية والعربية ، وقد برز عدد من العلماء في هذه العلوم وكان من بينهم عدد من المغاربة الذين أدلوا بدلوهم فيها، وبعضهم اشتهر بالبراعة في العلوم الدينية والشرعية بالإضافة إلى هذه العلوم ، وهؤلاء الذين يمكن أن نصفهم بالعلماء الموسوعيين ، وسيتضح ذلك من خلال أيراد بعض تراجم هؤلاء العلماء فيما يلي:

فممن برز من المغاربة في علمي الطب والكيمياء : علي بن فرخوص ، أبو الحسن التلمساني المغربي ، كان من العلماء الأجلاء ، طاف كثيراً من بلدان المشرق والمغرب ،واستفاد علوما جليلة ، كان ذا فضل في علمي الطب والكيمياء[١٠٣].

وفي الفلك والميقات برز : محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون ، الشمس أبو عبد الله بن ذي الكشين أبي الفضل وأبي القاسم اليعمري ، التونسي المولد والمنشأ ، المدني المالكي المتوفى سنة (٧٢١هـ/ ١٣٢١م) كان مشاركاً في علوم عديدة ، فبالإضافة إلى براعته في الفقه وأصوله و اللغة العربية ، فقد برع أيضاًفي الفلك والميقات ، وتعلم على يديه جماعة في علم الفلك ، فأظهر فيه فضيلة تامة ، وكثر المشتغلون عليه في علم الميقات ، حيث أخذوا وقته كله [١٠٤] .

وفي علم الرياضيات برز السائب بن عبد الله بن السائب ، أبو الغمر الأنصاري الطنجي ، نزيل الحرمين ، المتوفى سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م) ، سمع بمكة من الصفي والرضي الطبريين ، مع الأقشهري بقراءة الوادي آشي ، أقام بالمدينة مدة طويلة وسكن بالحجرة المخصصة للأولياء

(١٠٢) المقدمة ص ٤٠٠

(١٠٣) السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ٣ ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥

(١٠٤) السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ٣ ، ص ٧٠٦ - ٧١٠ .

والأخيار برباط دكالة ، وكان من كبار الأولياء المتحلين بالعلم والزهد ، برع في العلوم الرياضية ، وقرأ عليه الطلبة في المدينة الحساب والفرائض[١٠٥] .

وبرز أيضاً الحسن بن عيسى أبو علي الحاحائي المغربي المالكي ، المتوفى سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) ، الذي سبق ذكره في الفقه وأصول الفقه وأصول الدين واللغة العربية وكان إماما في كل هذه العلوم ، بالإضافة إلى أنه كان رحلة في الفرائض والحساب، وقبلة للقاصدين ،وانتفع به الطلبة كثيراً[١٠٦] .

الإجازات العلمية :

ومعنى الإجازة فى كلام العرب : مأخوذ من جواز الماء الذى يسقاه المال من الماشية والحرث ، يقال منه : استجزت فلاناً فأجازني ، إذا أسقاك ماءاً لأرضك ولماشيتك ، كذلك طالب العلم يسأل العالم أن يجيزه علمه فيجيزه إياه ، والطالب مستجيز والعالم مجيز ، وهي نوع من أنواع تحمل الحديث.[١٠٧]ولكنها بعد ذلك تجاوزت علم الحديث ، إلى بقية العلوم المختلفة ، ولم تكن المؤسسات التعليمية هي التي تمنح الطالب تلك الإجازات ، وإنما كان يمنحها إياه أساتذته الذين درس عليهم ، وكانت قيمة الإجازة معقودة بالمكانة العلمية للعالم الذي منحها . [١٠٨]

ولم تكن تمنح إلا بعد التأكد من كفاءة الدارس ، وأنه أهل لها ، كما أنه يشترط في المجيز أن يكون عالماً موثوقاً به في دينه ، متقناً للغته ، وأن يكون المستجيز من أهل العلم ، وقد يحصل الطالب على عدة إجازات من عدة شيوخ[١٠٩] ، وقد أصبح لهذه الإجازات أهمية كبرى فى حياة الطلاب ،

---

(١٠٥)السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ١١٤ ، ١١٥

(١٠٦)السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٤٩٤ .

(١٠٧) الخطيب البغدادي : الكفاية فى علم الرواية ص ٣١٢ ، بيروت ١٩٨٨م ، السيوطي : تدريب الراوي فى شرح تقريب النواوي جـ ٢ ص ٢٩ ، تحقيق / د. عبد الوهاب عبد اللطيف ، بيروت ١٩٨٩م .

(١٠٨) شرف الدين محمود خطاب : التربية فى العصور الوسطى ، ط٣ ، القاهرة، ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م ص ٥٦ .

(١٠٩) حورية عبد الإله سعيد السملي : الأسر العلمية في المدينة المنورة وأثرها على الحياة العامة ، رسالة ماجستير غير منشورة من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ص ١٥١.

لأنها أصبحت الوسيلة التى تسوغ له التوظف فى إحدى وظائف العلم ، وتفتح لـه بـاب العمـل والكسب والجاه بعد أن استقر مبدأ التعليم بالأجر فى العالم الإسلامي . [١١٠]

وقد شارك المغاربة في هذه الإجازات في المدينة المنورة ، فأجيزوا وأجازوا ، ومن ذلـك الإجازات التي حصل عليها أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن ، أبو المكارم بـن أبي عبـد الله الفاسي ، المتوفى سنة (٧٥٣هـ /١٣٥٢م) ، حيث أجاز له جماعة ، كإسحاق النحاس ، وأخيـه محمد ، والدمياطي ، من دمشق ومصر [١١١] ، ومنها أيضاً إجازات من الدمياطي ، وأبـو عبـد الله محمد بن الحسين البغوي ، وغيرهما لعبد الله بن محمد بن أبي القاسم ، فرحون بن محمد بن فرحون ، البدر أبو محمد بن أبي عبد الله بن أبي الفضل، اليعمري الأيدي ثم الجبائي التونسي الأصل ،المتوفى سنة (٧٦٩هـ/١٣٦٧م) ، نزيل المدينة المنورة [١١٢].

ومنها أيضاً إجازة الصلاح بن أبي عمر وابن أصيلة وابن الهبل والسوقي وابن النجم وعمـر بـن إبراهيم النقبي واحمد بن عبد الكريم البعلي ، وغيرهم ، لمحمد بن عبد الرحمن بن أبي الخير الفاسـي المتوفى سنة(٨٠٦هـ / ١٤٠٣م) [١١٣].

كذلك أجاز عمر بن سالم بن بدر السراج ، أبو حفص بن أبي النجا الوارقلي المغربي ، نزيل الحرم المدني للجمال بن ظهيرة [١١٤].

وظائف المغاربة بالمدينة المنورة:

شغل العديد من المغاربة الوظائف المختلفة بالمدينة المنورة إبان القرن الثامن الهجري/ الرابـع عشر الميلادي ، وقد ساعدهم على ذلك المكانة العلمية التي وصلوا إليها ، فقاموا بواجبات وظائفهم على أكمل وجه .، فمنهم من تولى وظائف تعليمية في شتى المراحل التعليمية المختلفة ، بداية مـن

---

[١١٠] د. محمد الخطيب : تاريخ التربية الإسلامية ، ، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ص ١٣٤ .

(١١١)السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ١ ، ص ٢٥٢ .

[١١٢]السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٠٣ - ٤٠٩

[١١٣]السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٦٣٣ ، ٦٣٤

[١١٤]السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ٣ ، ص ٣٣٠

تأديب الصبيان حتى التدريس في المؤسسات التعليمية الأخرى ، فممن قام بتأديب الصبيان ، محمد بن عبد الله السبتي المغربي المالكي المتوفى سنة (٧٢٠/١٣٢٠م) ، كان من قدماء المجاورين المقدمين في العلم والتعليم ، وكان في كتّابه أكثر من مائة متعلم ، وختم على يديه القرآن جم غفير من أولاد المجاورين [١١٥].

ومنهم أيضاً عمر بن سالم بن بدر السراج ، أبو حفص بن أبي النجا الوارقلي المغربي[١١٦]، كذلك قام عبد الله بن محمد بن أبي القاسم ، فرحون بن محمد بن فرحون ، البدر أبو محمد بن أبي عبد الله بن أبي الفضل، اليعمري الأيدي ثم الجبائي التونسي الأصل ،المتوفى سنة (٧٦٩هـ/١٣٦٧م) بتدريس الفقه المالكي بالمدرسة الشهابية [١١٧] بعناية أبي عبد الله الواديآشي ، وأبي عبد الله الحداد ، حين التمس منهما أخوه علي في مصر مساعدته عند القاضي تقي الدين الإخنائي بشهادتهما ، بثبوت أهليته ، حيث توقف القاضي في إجابته إلا بعد ثبوتها ، فشهدا بها وأمضاه ابن الأثير كاتب السر ، وكتب له المرسوم بذلك عند الملك الناصر محمد بن قلاوون ."[١١٨] ، وتصدر للاشتغال بالحرم النبوي أكثر من خمسين سنة [١١٩].

أما الوظائف الأخرى ، فقد تولى أحمد الشهاب ، أبو العباس الفاسي المتوفى سنة(٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) فصل الخصومات في المدينة نيابة عن الشريف الأميوطي [١٢٠]، كما تولاها بعده أحمد بن عبد الرحمن ، أبو العباس ، الشاذلي الفاسي ، المغربي المالكي ، نزيل المدينة ، المتوفى سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) ، نيابة عن الأميوطي أيضاً(١٢١)، كما ناب عبد الله بن محمد بن أبي

(١١٥) السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٦١٦- ٦١٨.

(١١٦) السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٣٣٠

(١١٧) ابن فرحون : نصيحة المشاور ص ٨٨

(١١٨) السخاوي : التحفة اللطيفة ، جـ ٢ ، ص ٤٠٥

(١١٩) السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٠٦

(١٢٠) السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٧٦

(١٢١) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ١٣٨ ، السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ١٨٤ -١٨٦

القاسم ، فرحون بن محمد بن فرحون ، البدر أبو محمد بن أبي عبد الله بن أبي الفضل، اليعمري الأيدي ثم الجبائي التونسي الأصل ،المتوفى سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) في الحكم بالمدينة المنورة عن التقي عبد الرحمن بن المؤمن الهوريني،والبدر حسن بن أحمد القيسي، ثم استقل بقضاء المالكية في سنة (٧٦٥هـ / ١٣٦٣م) إلى أن مات [١٢٢] ، وقد ذكر عنه الفيروزابادي :" انه كان يشار إليه في حفظ الأواصر ، ويغضب لدين الله وينصره ، طن بذكره البلاد من اليمن إلى العراق" [١٢٣] وقيل عنه: "أنه كهفاً لأهل السنة ، يذب عنهم ويناضل الأمراء والأشراف ، وكم له من حسنات في تمهيد اعزاز السنة وإخماد البدعة ، وعلو أمرهم ، وانتهى بذلك إلى أن امتحن ، فرصد في السحر بطريق الحرم ، وطعن طعنة عظيمة كان الغرض منها قتله ، لكن الله عافاه منها، وكان ممن جمع له الله سبحانه وتعالى العلم والعمل والدنيا والدين" وقيل عنه أيضاً : " أنه كان عليه مدار أمور الناس بالمدينة ، وناب في القضاء نحو أربع وعشرين سنة ، وأم في المحراب النبوي في بعض الصلوات ، ودعي إلى أن يقوم بالإمامة والخطابة نائباً ، فامتنع إعظاماً للمقام النبوي ، وهمته وسياسته أزال الله تعالى أحكام الطائفة الإمامية من المدينة فعزلت قضاتهم وانكسرت شوكتهم وخمدت نارهم ، وذلك أنه لما باشر الأحكام نيابةً عن القاضي تقي الدين الهوريني سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) سعى في عزل قضاتهم ، فنودي في شوارع المدينة بتبطيل أحكامهم ، والإعراض عن حكامهم ، فكان أول أسباب قوة أهل السنة ، وإخماد البدعة ، وعلو أمرهم ، وكم له من حسنات في تمهيد السنة وإخماد البدعة [١٢٤] .

كذلك تولى عبد الله بن عبد الله الدكاري المغربي المالكي المتوفى سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م) نيابة الحكم في بعض القضايا ، وكان متجرئاً على العلماء(١٢٥) .

(١٢٢) ابن حجر : الدرر الكامنة جـ ٣ ص ٨٤ ، السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٠٤

(١٢٣)المغانم المطابة جـ ٣ ، ص ١٢٥٠، ١٢٥١

(١٢٤)التحفة اللطيفة جـ٢ ص٤٠٦ ، ٤٠٧

(١٢٥)السخاوي : المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٣٤٢

المصادر والمراجع

أولاً المصادر :

•ابن تغري بردي(جمال الدين أبي المحاسن يوسف ت٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)

١- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي جـ٥ ، تحقيق /نبيل محمد عبد العزيز ، القاهرة ١٩٨٨م .

٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جـ٨ ، ١٠، تقديم وتعليق/ محمد حسين شمس الدين ، بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٢م .

• ابن الجزري (محمد بن محمد بن الجزرى ت ٨٣٣هـ /١٤٣٠م)

٣- غاية النهاية في طبقات القراء ، جـ ٢ نشر ج :برجستراسر بيروت ٢٠٠٦م

•ابن حجر(أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م)

٤- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق : محمد عبد المعيد ،حيدر أباد ١٩٧٢م .

•الحميري(محمد بن عبد المنعم ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م)

٥-الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت ١٩٨٤م

•الخطيب البغدادي(أحمد بن علي بن ثابت ت٤٦٣هـ/١٠٧١م)

٦-الكفاية في علم الرواية ، بيروت ، ١٩٨٨م.

•ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/١٥٠٤م)

٧-مقدمة ابن خلدون ، القاهرة ،(د.ت).

•السخاوي(محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)

٨- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ،٣ أجزاء ، عني بطبعه ونشره :أسعد طرابزوني الحسيني ،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

•السيوطي(عبد الرحمن بن أبي بكر ت٩١١هـ/١٥٠٥م)

٩-تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف ،بيروت ١٩٨٩م.

• عبد الواحد المراكشي(عبد الواحد بن علي المراكشي ت ٦٤٧ هـ/ ١٢٥٠م)

١٠- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٦٣م.

•الفاسي (تقي الدين محمد بن أحمد الحسني ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م)

١١-العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق: فؤاد سيد ،بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

•ابن فرحون (إبراهيم بن علي بن محمد ت ٧٩٩هـ/)
١٢- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق : مأمون الجنان ، بيروت١٩٩٦م
•ابن فرحون (عبد الله بن محمد بن أبي القاسم ت٧٦٩هـ/)
١٣- نصيحة المشاور وتعزية المجاور، دار المدينة المنورة ط١-١٤١٧هـ
•الفيروزابادي(محمد بن يعقوب بن محمد ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م)
١٤- المغانم المطابة في معالم طابة ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، المدينة المنورة ط١- ١٩٩٦ م
•ابن القنفد(أحمد بن حسين بن علي ت٨١٠هـ/١٤٠٧م)
١٥- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تحقيق/ محمد الشاذلي النيفر ، وآخر ، تونس ١٩٦٨م
المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م)
١٦ـ السلوك لمعرفة دول الملوك ،جـ ٣ تحقيق : محمد عطا ، بيروت ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

ثانيا المراجع:

•إبراهيم عطوة عوض
١٧- مقدمة تحقيق كتاب " إبراز المعاني من حرز الأماني في القرارات السبع للشاطبي " القاهرة ١٩٨٢م .
• أحمد الطويلي (دكتور)
١٨- في الحضارة العربية التونسية ، تونس (د.ت)
•إسماعيل باشا البغدادي
١٩- هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، جـ ١ بيروت (د. ت) .
•حسن حنفي (دكتور)
٢٠- علم أصول الدين - العقل والنقل ، بحث ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية ، جـ٢ بيروت ١٩٨٦م.
•حسن علي حسن (دكتور)
٢١- الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ، عصر المرابطين والموحدين ، القاهرة ١٩٨٠م.
•راشد سعد القحطاني
٢٢- أوقاف الأشراف شعبان على الحرمين ، الرياض ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
• شرف الدين محمود خطاب
٢٣ ـ " التربية في العصور الوسطى " ط٣ ، القاهرة، ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م
•عارف احمد عبد الغني

٢٤- تاريخ أمراء المدينة ، دمشق ١٩٩٦م.

• عبد الرحمن مديرس المديرس

٢٥- المدينة المنورة في العصر المملوكي ، الرياض ط١ ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

• عبد المنعم ماجد(دكتور)

٢٦-الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٨٦م.

•عز الدين عمر أحمد موسى

٢٧- دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٧٣م .

• عيسى الحريري (دكتور)

٢٨- تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني ، الكويت١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .

•محمد زغلول سلام (دكتور)

٢٩- الأدب في العصر المملوكي ، جـ١ القاهرة ١٩٧١م .

• محمد محمد الخطيب(دكتور)

٣٠- تاريخ التربية الإسلامية ، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

• ناجي محمد حسن عبد القادر الأنصاري

٣١- التعليم في المدينة من العام الهجري الأول إلى سنة ١٤١٢هـ ، القاهرة ١٩٩٣م.

ثالثاً الدوريات:

• أحمد هاشم بدرشيني (دكتور)

٣٢- أثر الأوقاف على الحياة الثقافية والاقتصادية في مكة والمدينة في العصر المملوكي ، بحث منشور بمجلة مركز بحوث المدينة المنورة ، عدد ١٤ ،١٤٢٧هـ

•عبد الباسط عبد الرازق بدر(دكتور)

٣٣- الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي ، بحث منشور بمجلة مركز بحوث المدينة المنورة ، عدد ٥ ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م

٣٤- ملامح الأدب في المدينة المنورة في العصر المملوكي ، بحث منشور بمجلة مركز بحوث المدينة المنورة عدد ٩ لسنة ١٤٢٥هـ .

رابعاً الرسائل الجامعية:

•جميلة مبطي السعودي :

٣٥- المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص ، رسالة ماجستير من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

• حورية عبد الإله سعيد السملي

٣٦- الأسر العلمية في المدينة المنورة وأثرها على الحياة العامة ، رسالة ماجستير غير منشورة من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -جامعة أم القرى ،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

•خالد محسن حسان

٣٧-الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ،١٤١٣هـ/١٩٩٣م . **